العمل الفني والحرفة جدلية الجمال والمنفعة

د.أميرة محمد خليفة ابلاعو ، د. احلام جمعة بلقاسم السعيطي
amira.eblao@uob.edu.ly ahlam.guma@uob.edu.ly
قسم التربية الفنية، كلية التربية جامعة بنغازي.

Artwork and Craftsmanship: The Dialectic of Aesthetics and Utility

Dr. Ahlam Guma Dr. Amira Mohamed Eblao
Assistant Professor, Department of Art Education, Faculty of Education, University of Benghazi

Abstract
The various forms of art, whether spatial or temporal, have often emerged as expressions of the emotions and thoughts of their creators. Art addresses imagination and the psychology of the self, shaped by the artist's life circumstances and the surrounding environment. This interaction yields creative values that resonate with the soul and emotions, reflecting both the artist's imagination and the realities of their life and society, thereby allowing others to share in these experiences. On the other hand, craftsmanship is a manual activity carried out by humans for a specific utilitarian purpose, typically devoid of emotional or imaginative considerations in the creation process. Since craftsmanship and art are closely intertwined in many utilitarian and service-oriented aspects, there remains a need for research and investigation through a descriptive and analytical approach to clarify and explain the nature of their relationship. This includes examining whether art originated as a form of craft and evolved into a distinct art form. This is done by exploring the essence of both artistic and craft-based work, understanding the extent of their interconnection, and the difference between a craftsman and an artist. Is the artist merely a transmitter of the craft, or is it the other way around? The study yielded several key findings, the most significant of which is that craftsmanship is essential to art, and art requires craft to establish its importance and contribute to the preservation of heritage, legacy, and traditional crafts. These crafts have now adopted an aesthetic dimension that satisfies the recipient.

Keywords: Artwork – Craftsmanship – Skill – Handicrafts

الملخص:

تُعد الفنون بأنواعها المكانية والزمانية جاءت لتعبر في كثير من الأحيان عن مشاعر وأفكار مبدعيها فخاطبت aبفعلها قيماً إبداعية خاطبت الروح والمشاعر وحاكت خيال وواقع حياة الفنان ومجتمعه لمشاركة الأخرين هذا الشعور، وأما الحرفة فهي نشاط يدوي يقوم به الأنسان لغرض منفعة معينة بعيداً عن الاهتمام بالمشاعر والمخيلة لتشكيل عمل ما، وحيث أن الحرفة والفن يكاد ان يرتبطان ببعضهما البعض في الكثير من الجوانب النفعية والخدمية ،ومازالت الحاجة قائمة للبحث والتقصي من خلال المنهج الوصفي التحليلي في بيان وتوضيح طبيعة العلاقة بينهما ومعرفة هل بدأت الفنون كحرفة ثم تحولت الى فن من خلال معرفة ماهية العمل الفني والحرفي ،ومدى ارتباطهما ببعض ،وما الفرق بين الحرفي والفنان وهل الفنان هو ناقل للحرفة أم العكس، وتوصل البحث الى العديد من النتائج كان أهمها أن الحرفة ضرورية للفن والفن يحتاج الحرفة لأثبات مكانته والمساهمة في الحفاظ على التراث والموروث والحرف التقليدية حيث أنها أصبحت تحمل الطابع الجمالي بطريقة ترضي المتلقي .

الكلمات المفتاحية : العمل الفني – الحرفة – المهارة- الحرف اليدوية

مشكلة البحث وتساؤلاته :

لطالما شكّل التفاعل بين الجمال والمنفعة محورًا أساسيًا في النقاشات الجمالية والفنية وفي قلب هذا التفاعل تقع جدلية العمل الفني والحرفة، حيث يُنظر إلى الأول كتجسيد للخيال والتعبير الجمالي، بينما يُعد الثاني منتجًا وظيفيًا ذا طابع عملي. غير أن هذا التمييز لم يكن دائمًا واضحًا أو مقبولًا، لا سيما في المجتمعات التي مزجت بين الإبداع والجمال في الوظيفة اليومية .حيث إن الحرفة والفن مفهومان يكاد يكونان متوافقان في كونهما من إنتاج إنساني ينتج عنه أشكالا معينة تخدم صانعها ومستخدمها ألا انهما يختلفان فالحرفة عمل ينشد المنفعة والاحتياج له ضروري ويمكن للإنسان أن يمتلكها بالتعلم والتدريب وهدفها وظيفي نفعي. أما الفن تلزمه موهبه وضرب من الأبداع، بل أحياناً يتعلق بالقدرات الذاتية للفنان إلا أنه مع تطور الزمن والحضارات أصبحت الحرفة تقترب من الفنون خاصة وأن كل منهما يجهز أدواته استعداد لعمله فهل يمكن المزج بين الحرفة والفن؟ لذا سيحاول هذا البحث الإجابة عن بعض التساؤلات ذات الصلة بهذا الشأن على النحو التالي:

س1- هل الفنان صاحب حرفة؟

س2- هل بدأت الفنون كحرفة ثم تحولت الى فن؟

س3- من هو الحرفي وما لفرق بينه وبين الفنان؟
س4- هل يمكن اعتبار الحرفي فنان أم ناقل للحرفة؟

اهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحليل العلاقة الجدلية بين الفن والحرفة من خلال :

1- توضيح العلاقة بين العمل الفني والحرفة.
2- بيان دور الفن في ترشيد المهارات الحرفية وتطورها.
3- توضيح أن الحرفة اتجاه فني تطور مع تطور الحضارات.
4- الكشف عن أهمية الفنون لأصحاب الحرف.

أهمية البحث:

1- وثوق الصلة بين العمل الفني والحرفي
2- اعتماد الحرف اليدوية علي المهارات التقليدية والفنية.
3- أهمية الفنون في تطور الحرف ومواكبتها لتطور العصر.
4- أهمية الحرف في تعزيز قيم الجمال والإتقان.

منهج البحث:

يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي.

أولا- الفنون وماهيتها:

الفن لغة واصطلاحا: تنوعت تعريفات الفن بتنوع الآراء والاتجاهات المختلفة فكان من الصعب إيجاد تعريف موحد للمفهوم الفن وعلى الرغم من هذا التنوع ألا إن أغلب التعريفات تصف الفن بأنه حصيلة أعمال أشخاص عبروا عن أنفسهم بطرق متنوعة عبر العصور حيث كان لكل عصر طابعه الخاص الذي يميزه عن العصور الأخرى.

وقد عرف الفن لغة على أنه" ضرب من الشيء وجمع أفنان، وفنون، وأفتن: اخذ في الفنون من القول، وفتن الناس: جعلهم فنوناً"(الزاوي:485)

وعرفه البستاني بأنه مصدر "فن-فناء الشيء، زينة"(البستاني:562) وجاء في لسان العرب بمعني "...الرجل يفتن الكلام أي يشتق في فن بعد فن والتفنن فعلك، ورجل مفن يأتي بالعجائب، وافتن الرجل في حديثه وفي خطبته إذ جاء بالأفانين (ابن منظور:3475).

وعرف اصطلاحا بأنه " يطلق على ما يساوي الصنعة، وتعبير خارجي عما يحدث في النفس من بواعث وتأثيرات بواسطة الخطوات، أو الحركات، أو الأصوات، أو الألفاظ"(وهبة:476).

بذا يكون الفن معبرا عن ثقافة الأنسان في صورة إنتاج أبداعي مصدره الأنسان نفسه معبرا فيها عن نفسه أو مجتمعه بأحد أشكال الفن المختلفة سواء كانت فنون زمانية مثل الرقص والموسيقي والشعر والمسرح أو فنون مكانية مثل الرسم والنحت والعمارة.

وإذا تتبعنا التطور التاريخي للفن نجد أنه مر بمراحل مرتبطة ومتواصلة فكانت كل مرحلة عبارة عن سلسلة متواصلة لما قبلها حيث يعد تاريخ الفن " وثيقة تاريخية مهمة تستمد أهميتها من كونها صعبة التزوير فهي دلائل على شخوص وأحداث وأفكار وثقافات وحقب تاريخية يستطيع التاريخ العام للحضارة الإنسانية أن يعتمد عليها في فهمه الشامل والواسع عن سيرورة جبروت الحضارة"(عوض:145). ففن الأنسان القديم لم يكن فناً بالدرجة الأولي فقد كان في بدايته طريقه للعيش من خلال استخدامه لأدواته اليومية من أسلحة وأدوات طهيه وأنشأ مسكنه ومزاولة طقوسه الدينية وتدوين طريقة حياته اليومية على جدران الكهوف دون أن يعي أن هذا كان فناً.

ومع تطور الأنسان تطورت لدية النزعة الفنية والحس الجمالي فبدأ باستخدام الألوان وزخرفة مسكنه واستخدم الطوب في صناعته لمسكنه وأدواته فكانت الفنون محاكاة لحياة الأنسان في صورة المختلفة على مر العصور فكانت الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية التي ارتبط الفن عندهم "بالعقيدة الدينية...واهتموا بصناعة الأواني الفخارية المزينة وصناعة الفؤوس والأدوات والحلي"(عبد المعطي، عبدالمنعم :15) كما لعب الدين دورا مهما في حياة شعوب بلاد الرافدين وخاصة" عند السومريين الذين شكلوا معبودات وضعوا الهه حتي للإنسان وقتها أن يتبادل الأفكار مع هذا العالم الفني المقدس"(المرجع السابق:19)، ووصفه فلاسفة اليونان بالنافع حيث اكد سقراط علي أن كل ما هو نافع يعتبر جميلا وربطة أفلاطون بعالم المثل الإلهي ووصفه أرسطو بالنظام والتناسق بين أجزاءه مؤكداً " انه لما كان الشيء جميلا لا ينبغي أن تقع فيه الأجزاء مرتبة فحسب، بل ينبغي أن يكون له عظم. لان الجمال في العظم والترتيب"(طاليس: 60) ونادي بمحاكاة الفنان للأشياء من حوله.

ومما لاشك فيه اهتمام المسلمين بالفن وخاصة فترات ازدهار الحضارة الإسلامية حيث ازدهر الشعر والنثر في المرتبة الأولي عند المسلمين والعرب خاصة أنه كان هناك تحفظ من ناحية الدين على تمثيل الكائنات الحية وفن نحت التماثيل وذلك خوفا من الرجوع إلى عبدة الأصنام التي كانوا يعبدونها قبل ظهور الدين الإسلامي لذلك ابتعد الفنان المسلم عن النحت والتصوير في بداية ظهور الإسلام، ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية ازدهرت الفنون واتسعت لتشمل كل أنواع الفنون والحضارات التي دخلها

الإسلام ألا أن المسلمين تميزوا عن غيرهم من الشعوب بالأدب واللغة الفصحى خاصة أنها لغة القران الكريم الذي كان يحث على التأمل في مظاهر الكون وما فيه من أبداع رباني والهام للفنان المسلم.

أما في العصور الوسطي كانت سيطرة الكنيسة ورجال الدين علي الفن مما أدى إلى تأثر الفن بالجانب الديني حيث تم العمل على الاهتمام بالكنائس من حيث التصور والزخرفة حيث جاء عصر النهضة وحمل التحرر من سيطرة الكنيسة وادخل الفنانون المناظر الطبيعية ونمت العمارة والرسم والنحت ونتيجة للحاجة إلى المباني والقصور وخاصة لدى طبقة الأغنياء حيث ظهر مجموعة من الفنانين الذين أثروا بشكل واضح في التطور خاصة التطور العلمي وعلى رأسهم ليوناردوا دافنشي الذي ربط العلم بالفن إلى جانب مايكل أنجلو ولرافائيل الذين تميزت أعمالهم بتجسيد الفن المسيحي فبرعوا في تصوير " حياة المسيح وقصص القديسين من أمثال روفائيل الذي جلبت له لوحاته الشهيرة مثل مادونا القديس سيسكت كما صور العذراء على مقعدها"(عبد المنعم:72) و تميز مايكل أنجلو في ميدان التصوير والنحت وتأثره بالجانب العلمي " فرسم الجسم الإنساني من ناحية تشريحية في إبراز العضلات التي تبدو في قوة وعنف كما كان يبرز صورة الحركة في جميع أعضاء الجسم والتكوين"(كامل:170) ، وبعد فترة النهضة بدأت العديد من المدارس الفنية المختلفة التي أسهمت في استقرار الفكر الفني مثل الرومانسية والبروك ثم تلتها العديد من المدارس الأخرى كالسريالية والتجريدية والتكعيبية والانطباعية...الخ وعلى الرغم من اختلاف الاتجاهات والآراء بين هذه المدارس رافق الفن جميع الأحداث الاجتماعية والعلمية والثقافية مما ساعد على تميزه بتعدد التيارات والانفتاح نحو التطور، وازدهرت الفنون التشكيلية في عصر الحديث وتقدمت العمارة والنحت والزخرفة التصوير إلى جانب تطور الأدب والمسرح وميز فيه الفنان بين" جمال الموضوعات في الطبيعة والموضوعات التي ينجزها الفنان كوقائع جديدة من حيث تعبيرها ومن حيث أبعادها"(حلمي:105)

أما الفن المعاصر كان حصيلة جميع فنون الحضارات السابقة إلى جانب التطور التكنلوجي مما استدعي الفنان لإدخال الأجهزة والمعدات في مجال الفن وساعدت على تطور الفن وتشكلت الفنون بأنواعها المكانية والزمانية وتنوعت فيه مفاهيم الفن حسب الاتجاهات والمدارس.

مكونات العمل الفني :

إن أساسيات العمل الفني التي لابد منها لكي يكون فنا جميلا مهما كان نوعه سواء لوحة

موسيقية أو تمثالاً أو لحن موسيقياً أو راوية وقصة الوحدة والترابط والانسجام بين أجزائه فلا أهمية للعمل الفني لو انفردت أجزائه عن بعض فالجمال في التكوين والترابط بين مكونات العمل الفني من مادة وصورة وتعبير والتي اعتبرت أساس العمل وتعين الفنان على تحقيق غايته والوصول إلى هدفه "فالعمل الفني الذي نتعايش معه هو موضوع كلي لع تركيبته البنائية وعناصره الأساسية التي لا يستطيع أن يبدو متماسكاً بدونها لأنها تمثل وحدته المادية التي تجعله مجسداً في موضوع متماسك ومنسجم مع مادته وكذلك ينطوي على مدلولة الباطن الذي يشير إلى موضوع خاص"(عبدالمنعم:351)

1. **المادة:** وهي تمثل المادة الخام بالنسبة للفنان حيث تختلف هذه المادة باختلاف نوع الفن متمثلة في اللفظ، أو الحركة، أو الحجارة، أو المعادن حيث تتجسد في شكل معين عن طريق الفنان فلا وجود للعمل بدون المادة، فلا توجد قصيدة بدون كلمات ولا لوحة بدون خطوط والوان وهكذا، فاستخدام المادة فن مكانها المناسب يضفي على العمل الفني قيمه جمالية " فالمادة بالنسبة للعمل الفني هي جوهره العيني أو جسمه وبدونها يكون العمل الفني هزيلاً خاوياً"(إبراهيم:32).
2. **الموضوع:** ويمثل العنصر الثاني من عناصر أو مكونات العمل الفني الذى يحمل المضمون المتمثل في العمل وطبيعته أي موضوع اللوحة أو القصيدة أو التمثال حيث يلعب دوراً مهماً في بناء العمل الفني فلا أهمية للمادة بدون موضوع أو شكل معين" فموضوع العمل الفني هو موضوع لذاته، أي طريقة التنفيذ والأداء هي المقصودة لذاتها في الإنتاج الفني"(نظمي: 15).ويمثل الموضوع دورا حيوياً في بناء العمل والمهني الداخلي لمعرفة الفنون حيث يؤكد ستولينتز علي أن الشكل والموضوع هو "القيمة النفسية للفن والمميزة له فهو يضفي على العمل الفني ذلك الطابع الكلي والاكتمال الذاتي الذي يجعله يبرز من بين جوانب التجربة ويبدو عالماً قائماً بذاته"(ستولنتز:239) لذا لا قيمة لفن لا يحمل موضوع معبر عنه حتى أن بعض المدارس" كالتجريدية والرمزية تري أن التجريد أو الرمز يعبر عن موضوع ما أو اتجاه فكري معين والفنان يريد التعبير عن موضوعه فانه...يرسمه على نحو ما يحدسه أو حسب ما تتكشف لحساسيته الوجدانية"(عبد المنعم:357).
3. **التعبير**: ويعني الطريقة التي يروي بها الفنان الموضوعات الوقائع المراد العمل عليها من خلال الفن وتعبيره عنها فبعد أن كانت أفكار وأوهام في خياله استطاع إخراجها إلى الواقع عن طريق قدرته على التعبير، "فكل فن هو لغة

تعبير"اسوالد:350) فيقوم بتطويع المادة وتنظيمها حسب طبيعة العمل الفني " فاذا كان الحجر كان التعبير بالمعمار، وإذا كان لغة كان التعبير بالشعر، وإذا كان نغمة كان التعبير بالموسيقي واذا كان اللوم كان التعبير عن الشكل الإنساني وكان ذلك من فنون التجسيم"(بدوي:158).

لقد اعتبر التعبير من اعسر عناصر العمل الفني قابلية للتحليل لان مضمونة شيئاً عقلياً يمكن أن يتناوله الفهم والإدراك لكنه يعبر عن مضمون شعوري وجداني يستعصي على التحليل والتفسير. بذلك فان أي عمل فني لابد أن يتضمن المادة والصورة والتعبير ليكتمل كعمل فني مجتمع العناصر معاً.

مقومات العمل الفني الجمالي:

لأي عمل فني مجموعة من العناصر التي تمنحه طابعه الجمالي والرمزي، ومنها:

- الخط: العنصر الأساسي في بناء الشكل وتحديد العلاقات بين الأجزاء.
- اللون: يضفي بُعدًا بصريًا وعاطفيًا، ويُستخدم للتعبير عن المشاعر أو خلق التباين.
- الملمس: يُثير الحواس ويوحي بتجربة حسية ملموسة، سواء كان بصريًا أو حقيقيًا.
- الشكل والفراغ: يتداخلان لخلق توازن بصري وتكوين جمالي.
- التركيب أو التكوين: الطريقة التي تُرتب بها العناصر داخل العمل، والتي تحدد اتساقه ووحدته.
- الإيقاع والحركة: يمنح العمل ديناميكية ويُوجه عين المشاهد داخل فضاء اللوحة أو المجسم.

القيمة الجمالية للعمل الفني:

تعني القيم الجمالية تقدير الجمال بأنواعه من إنتاج الفن بصرية كانت أو سمعية أو كانت أعمال لمسية حيث تعتبر عامل مهم للاستمتاع بالعمل الفني وإطلاق الأحكام عليه والتي تختلف من شخص لأخر حسب الأذواق والثقافات والميول الشخصية لذا فالقيم الجمالية قيمة ذاتية تساعد الفنان على أثراء الإحساس بالجمال والتعبير في الفن كما تساعد الفرد المتذوق على كيفية تقدير العمل الفني والحكم عليه.

وقد عرفت القيم الجمالية بأنها" مجموعة الأحكام الادراك التي تنبع من ذات الموضوع وتكون وفيه له" (سانتيانا ص 50) كما أن" القيمة الجمالية صفة تنتمي إلى العمل الفني،

ولكنها لا تظهر ألا كنتيجة تفاعل المتلقي مع العمل الفني"(رياض:76) لذلك فهي مهمة في حياة الأفراد لأنها تنشد الجمال وتمنحهم القدرة على إصدار الأحكام والتمييز بين الجميل وغير الجميل.

لقد أصبحت القيم عنصراً هاماً في البناء الثقافي لأي مجتمع فهي "بمثابة معايير لسلوك أفراد المجتمع تتقبلها الجماعة والخروج عنها يجعل الفرد في موقف الانحراف أو الاستهجان" (نظمي:7).فقيمة العمل يكمن في قمة الأشياء التي نفضلها عن غيرها وتنمي لدية ملكة التذوق لذا ينجذب الأفراد عادة للعمل الذي يشعرون معه بالمتعة والأثارة والسلام النفسي والذي كثيرا ما يعبر فيه الفنان عن تجاربه الشخصية فيكون دور القيم الجمالية المساعدة في نقل هذه التجارب والأحاسيس إلى المتلقي ومساعدتهم على فهم العمل والاندماج به وتجدر الإشارة إلى أن الأفراد يختلفون في إصدار أحكامهم من شخص إلى أخر حسب ذوق وثقافة الفرد الفنية وتجاربه الشخصية.

كما تكمن أهمية القيم الجمالية في قدرة الفنان على مدي التوافق بين الأدوات المستخدمة ومدي التعبير عما يرغب في التعبير عنه مما يجعلنا أمام علاقة وطيدة بين الجمال والقيم فالخلق والتذوق الفني يخلق لدي الفرد الاستمتاع بالعمل الفني وتأثره بمذهب أو مدرسة معينه.

ثانياً ـ الحرفة ومفهومها:

الحرفة مهنة استخدمها الأنسان منذ بداية العصور الأولي لصنع أدوات يحتاجها في حياته اليومية خاصة أدوات الأكل والصيد ومع تطوره تطورت الصناعات وأصبحت من أهم الأنشطة الاقتصادية التي كانت نتاج عمل الأنسان المهارى والإبداعي ودخل فيها أيضا الجانب الجمالي الصرف والذى أصبح واضحاً في أغلب الحرف والصناعات التي تناولت الموروث الاقتصادي والتراثي للمجتمع ، وغالبا ما تعتمد الحرف على المهارات التقليدية وأدوات بسيطة يستخدمها الأنسان لصنع أداه يحتاجها من خلال أدوات موجودة حوله في بيئته استغلها في إنتاج عمله مثل الأشجار والنباتات والحيوانات ومع تطور العصر تطورت الحرف اليدوية وأصبحت أعمالا ومهناً تلقي رواجاً واسعاً.

تعريف الحرفة لغتاً واصطلاحاً:

عرف مفهوم الحرفة في اللغة بأنه "من الاحتراف وهو الاكتساب والحرفة: الصناعة وكل ما اشتغل الأنسان به"(عبد الفتاح: 42)، والحرفة " بالكسر: الصناعة يرتزق منها، وكل ما اشتغل الأنسان به يسمي صنعة وحرفة لأنه ينحرف اليها"(الزاوي:136).

ويعرفها المعجم الوسيط بـأنها "كل علم أو فن ممارسة الأنسان حتى يمهر فيه، ويصبح حرفة له" المعجم الوسيط:220).

وتعتبر الحرف من اهم الأنشطة التي عمل الأنسان فيها على تنمية الجانب الاقتصادي والثقافي لمجتمعه خاصة في الجانب التراثي والحرف التقليدية اليدوية التي استوحي معظم إبداعاته الحرفية من البيئة الطبيعة المحيطة به معتمدا على مهارته الشخصية ومدي تطويعه للمادة المراد العمل عليها فهي الصنعة التي " يزاولها الحرفيون بلا أي معاونة من اله تحركها الطاقة، ويستعين الحرفي في هذه المهن بأدواته ويبذل في ذلك جهداً عقلياً لكي تتم عملية الإنتاج "(غيث:1993).وتجدر الإشارة إلى أن الحرفة يمتلكها الأنسان من خلال الخبرة والتدريب المتواصل من أجل تحقيق منفعة وفائدة له وللأخرين.

تطور الحرفة:

منذ القدم استخدم الأنسان الحرف اليدوية لغرض حاجته لها والاستفادة منها ومع تطور الحضارات تطورت الحرف وتميزت مع تطور مهارات الأنسان والأساليب والمواد فبعد أن كان الحرفي يستخدم يديه للعمل صار يستعين بالات لإنجاز أعماله توفيراً للوقت فكان هدفها نفعي وأحيانا وترفيهي لأجل التسلية صارت تنشد المال ومصدر دخل للأفراد العاملين بها حتى يومنا ،وفي الحضارات القديمة كانت صناعة الفخار والحلي وتطريز الأقمشة ونجارة الخشب باستخدام خامات موجودة في البيئة تصنع يدويا بكل حريه دون استخدام معايير القواعد من اجل المنفعة في استخدام هذه الصناعات.

ألا أنها مع التطور الحضاري تطورات مهارات الحرفي وأصبح يهتم بالجانب التسويقي من خلال الزخرفة والنقوش التي يضعها على أعماله كنوع من التزيين وعاملا مهمة في تنمية الاقتصاد خاصة تلك الدول التي تعتمد على صناعتها المحلية التقليدية خاصة أثناء موسم السياحة حيث يتم الترويج للمنتجات المحلية "فالحرف والصناعات اليدوية أهمية بالغة حيث تعد من الأنشطة التي تساهم في التصدير ومورد من موارد الدخل الأجنبي وتوفر العملة الصعبة ومن الأنشطة التي تقوم بدعاية إيجابية للدول خارج نطاق حدودها"(حسن: 2020).

لقد اعتمدت الحرفة على الصناعات التي استخدم فيها الأنسان معرفته ومهارته إلى جانب خبراته لإنتاج أعمال يدوية تحتاج الكثير من التمرين والتدريب حتى تصل إلى مستوي الحرفية حيث اعتمدت على أدوات بسيطة ومع الزمن بدأ الحرفي يزخرف ما يصنعه من أعمال حسب المواد المتوفرة لديه معتمداً على إبداعه العقلي ومهارته الفردية فطور عمله من خلال أنواع الحرف مثل النسيج والحرف الورقية والزخرفية والأزياء

التقليدية وصناعة الخشي والمعادن والفخار وغيرها من الحرف التقليدية التي تميزت بها الحضارات عبر الزمن لأنها وسيلة للحفاظ على التراث والتقاليد الثقافية والهوية الوطنية للدول المنتجة مما زاد من الاهتمام بها وتطويرها.

من هو الحرفي؟

الحرفي هو "الصانع اليدوي يعمل لحسابه ويعاونه عدد صغير من العمال ويتمتع أصحاب الحرفة عادة بحماية خاصة فيما يتعلق بتطبيق قوانين العمل والضرائب"(سميث: 615).

فهي يصنع الأشياء التي نحتاجها في حياتنا اليومية أي كانت صناعته وماهي المادة المستخدمة في العمل ونوعية العمل.

الحرفة وأبعادها الوظيفية والإبداعية :

تشير الحِرَف إلى تلك المهارات اليدوية التي يكتسبها الفرد من خلال الممارسة والخبرة، وتُستخدم لإنتاج أعمال مادية تخدم غرضًا وظيفيًا. ورغم ارتباط الحرفة تقليديًا بالجانب العملي، إلا أن لها أبعادًا فنية وجمالية عميقة، تجعلها شكلاً من أشكال التعبير الإبداعي.

أولًا- البُعد الوظيفي للحرفة :

تُعد الوظيفة أو الاستخدام العملي العنصر الأساسي في العمل الحرفي حيث تُصمم القطع الحرفية لتلبية حاجة معينة، مثل الأواني الفخارية، النسيج، الأثاث، الزخارف المعمارية ومن خلال هذا البعد ترتبط الحرفة بحياة الإنسان اليومية، وتخدم البيئة الاجتماعية والاقتصادية التي تنشأ فيها.

ثانيًا- البُعد الإبداعي للحرفة:

رغم طابعها العملي، فإن الحرف ليست خالية من الجمال أو الذوق الفني. بل على العكس حيث يظهر فيها الابتكار في اختيار المواد، وتناغم الألوان والدقة في التنفيذ فالحرفي يضع من ذاته وذوقه في القطعة، ليجعلها فريدة ومميزة، لتتجاوز حدود المنفعة وتلامس الحس الجمالي.

طبيعة العلاقة بين الفن والحرفة:

الفن والحرفة مفهومان كلاهما عمل يقوم به الأنسان للتعبير عن مهنة معينه فيعبر الفنان عن فنه بالرسم، أو النحت، أو الأدب، أو الزخرفة، أو التصوير إلى غيرها من الفنون ويستعد لعمله بتحضير أدواته التي يحتاج اليها لإنجاز المطلوب كذلك الحرفي يجهز أدواته لصنع شيء معين من صناعة فخار، أو نسيج، أو معادن، أو تطريز، أو نجارة،

أو حدادة ...إلى غيرها من الحرف التقليدية فهل هذا يعني انهما متقاربان وان الحرفة فن؟ وهل الحرفي فنان؟

فكما أسلفنا سابقا في تعريف الحرفة بانها عمل يقوم به الشخص لإنتاج أداة معينة يستخدمها في حياته وهدفها نفعي وظيفي، أما الفن هو عمل تعبيري ينقل من خلاله الفنان ما يشعر به في صورة عمل فني ليشاركه الأخرين هذا الشعور الذي كثيراً ما يعتمد على الخيال والتعبير عن المشاعر فالفن يخاطب الخيال والحرفة ذات طبيعة خدمية نفعية، ألا أن التطور الحرفي حمل معه تطور في المهن أيضا وأصبح الحرفي يهتم بالجانب الفني الجمالي في نتاجه فمنحت الفنون الحرف الجمال الخاص بها فادخل الحرفي الجمال في عمله فبعد أن كانت الحرفة مهنة فقط أصبحت جزء من الفن وليست كل الفنون فالنجار والحداد فنانون في استخدام حرفتهم بشكل فني جميل ولكن لا يطلق عليهم فنانون رغم أن هذه الحرف تعطي رونق جمالي لمنازلنا وبيئتنا الاجتماعية كالديكور والأرابيسك فالأبواب المزخرفة حرفة مكسوه بالفن والمعمار والرسومات كالخزف والأواني حرفة تحمل فن التشكيل وغيرها من الحرفية الكثيرة التي تنتج عن عمل الأنسان، لذا قد تكون "نشأة الفن تستمد من روح الصناعات الحرفية وأن الفن لا يعدو أن يكون ناتجاً عرضياً للصناعات الحرفية"(هاوزر:13)، ويؤكد ذلك (الان-1868-1951)، "بأن العمل الفني يعد ناقصاً بل انه يصبح لاوجود له على الأطلاق اذا ارتكز على التصورات فحسب، وركن إلى الخيال دون الاعتماد على مادة صلبة يطوعها الفنان ويصيغها في صورة عمل صناعي إنتاجي يعبر عن روحه ويظهر حرقته ومهارته"(عباس:234) لذا يكون الفن امتداد يشمل الحرفة والصناعات التقليدية فالفنان يوظف مهارات يدوية في التعامل مع الألوان والفرشاة وأنواع الفنون الأخرى كما ترتبط الحرفة بالتشكيل.

وصف (كارل ماركس-1818-1883) علاقة الفن والحرفة بأن" الأنسان كائن اجتماعي ينبع نشاطه الإبداعي من نشاطه العملي وهو نشاط يغير في الطبيعة ويعدل فيها والفن تعبير عن ذلك النشاط"(ماركس:39).

ويقول سوريو "هنا صلة تربط بين الفن والصناعة على الرغم من أن الأول خلق وأبداع والثانية عمل وأنتاج لكن الفن غالباً ما يتدخل في الصناعة لاسيما عندما تتطلب الصنعة (الحرفة) لمسة من المعرفة الجمالية"(عباس:151).

لذا فأن الحرفة إذا ازدهرت وتطورت فأنها تصبح فناً كما يري فيكتور باش أن فن المعمار قد نشأ عن حرفة البناء كما أن فن التصوير قد نشأ منذ البداية عن حرفة التلوين

ولما كان الفن في الأصل نشأ عن الحرفة ول يحصل على أسمه ألا بعد أن انفصل عنها لهذا تظل الصلة قائمة بينهما حتى بعد انفصاله عن الحرفة، ومع ذلك فإن الحرفة أو الصناعة اذا ما تقدمت أو ازدهرت فأنها تصبح فنا"(عباس:236).

في كثير من الثقافات، لم يكن هناك تمييز حاد بين الفن والحرفة. فنرى مثلًا في الفنون الإسلامية تداخلًا كبيرًا بين الجمال والوظيفة، كالأرابيسك على الأبواب أو الخط العربي في العمارة. بل إن بعض التيارات الفنية المعاصرة مثل حركة "الفنون والحرف" في القرن التاسع عشر حيث دعت إلى إعادة الاعتبار للحرفة كفن قائم بذاته ولقد ارتبطت علاقة الفن بالحرفة عبر الزمن ارتباط وثيقاً بمواد وخامات مشتركة يستخدمها الحرفي والفنان من خشب وحجارة وفخار وخزف وزجاج حتى لقبت بالفنون الحرفية، لذا فأن الحرفة ضرورية للفن والفن يحتاج الحرفة لأثبات مكانته والمساهمة في الحفاظ على التراث والحرف التقليدية التي بعد أن كانت تحمل الطابع النفعي لاستخدامات الأنسان اليومية أصبحت تحمل الطابع الجمالي والمزخرف بطريقة ترضي المتلقي

الحرفة ـ اتجاه فني تطوّر مع تطوّر الحضارات:

لم تكن الحِرَف يومًا مجرد أعمال يدوية ذات وظيفة نفعية فقط، بل شكلت عبر العصور تجسيدًا حقيقيًا لذوق الإنسان ووعيه الجمالي، واتخذت طابعًا فنيًا متجددًا يعكس تطور الحضارات والثقافات. فمع كل مرحلة حضارية، كانت الحرفة تواكب التغيرات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، متخذة أشكالًا وأساليب تعبّر عن روح العصر.

ـ الحضارات القديمة: في مصر القديمة وبلاد الرافدين، كانت الحرف تُمارس على مستوى عالٍ من الإتقان والجمال، كما في صناعة الأواني المزخرفة والنقوش الحجرية والمنسوجات، وكانت الحرفة متداخلة تمامًا مع الفن والدين والرمزية الثقافية.

ـ الحضارة الإسلامية: بلغت الحِرَف الفنية ذروتها، حيث ازدهرت فنون الخط العربي، والزخرفة، والخزف، والنقش على الخشب والمعادن. وتميزت الحرفة الإسلامية بجمعها بين الوظيفة والجمال، فجعلت من كل أداة أو مبنى عملًا فنيًا يحمل دلالات روحية وجمالية.

ـ العصور الأوروبية الوسطى وما بعدها: كان الحرفيون جزءًا من النقابات، يمارسون مهناً تُقدَّر اجتماعيًا، وكانت منتجاتهم تُعد أعمالًا فنية فريدة. وفي القرن التاسع عشر، ظهرت حركة "الفنون والحرف" (**Arts And Crafts Movement**) كرد فعل على الثورة الصناعية، ودعت إلى العودة للجودة اليدوية والجمال الفني في العمل الحرفي.

ـ العصر الحديث: أصبحت الحرفة جزءًا من الفن المعاصر، بل إن الكثير من الفنانين يستخدمون تقنيات حرفية لإنتاج أعمالهم، مما ألغى الفاصل بين الفن الراقي والفن التطبيقي. كما أعيد الاعتبار للحرفة كمجال إبداعي يُدرّس في المؤسسات الأكاديمية.

ـ الحرفة في السياق التربوي: تُعد اليوم الحرفة وسيلة لتعليم الطلبة قيم الجمال، والصبر، والدقة، وتقدير العمل اليدوي، كما تُسهم في ربطهم بتراثهم الثقافي، وفي تنمية مهاراتهم الإبداعية والفكرية.

أهمية الفنون للحرفيين :

تلعب الفنون دورًا محوريًا في تطوير الممارسات الحرفية وتعزيز قيمة العمل اليدوي، فهي تمدّ الحرفيين بالأدوات الجمالية والمعرفية التي ترتقي بأعمالهم من مجرد منتجات نفعية إلى أعمال تحمل طابعًا فنيًا مميزًا. فالفن لا يمنح الحرفة فقط البعد الجمالي، بل يفتح أمام الحرفيين آفاقًا للإبداع والتجديد والتميز.

1ـ الارتقاء بالجودة الجمالية للأعمال الحرفية :من خلال الفنون، يكتسب الحرفي مهارات التكوين، واللون، والتوازن، مما ينعكس على تصميماته ويمنحها طابعًا بصريًا راقيًا. فالحرفي المتمكن من مبادئ الفن قادر على إنتاج قطع ذات قيمة جمالية تضاهي الأعمال الفنية.

2ـ تنمية الحس الإبداعي والابتكاري :تساعد الفنون على تطوير مخيلة الحرفي وتشجيعه على التجريب، ما يخرجه من دائرة التكرار والنمطية إلى آفاق الإبداع والتجديد في الأشكال والأساليب والخامات.

3ـ تعزيز قيمة المنتج في السوق :الأعمال الحرفية ذات الطابع الفني غالبًا ما تحظى بتقدير أعلى في الأسواق المحلية والعالمية، إذ يُنظر إليها بوصفها قطعًا فنية تحمل هوية وثقافة، وليس فقط أدوات وظيفية.

4ـ الحفاظ على التراث وتطويره : من خلال الفنون، يستطيع الحرفي الجمع بين الأصالة والمعاصرة، فيُحافظ على الروح التقليدية للحرفة مع إدخال لمسات إبداعية حديثة، مما يضمن استمراريتها وتطورها.

5ـ دعم الهوية الثقافية :الفنون تمنح الحرفي وسيلة للتعبير عن ثقافته وهويته المحلية، سواء من خلال الرموز أو الألوان أو التقنيات المستوحاة من البيئة المحيطة، مما يعزز من دوره في نقل التراث للأجيال القادمة.

النتائج :

1- الحرفة ضرورية للفن والفن يحتاج الحرفة لأثبات مكانته والمساهمة في الحفاظ على التراث والموروث والحرف التقليدية .

2- الفن يلعب دور مهم في تعزيز الجانب الجمالي في الحرف اليدوية .

3- إعادة الاعتبار للحرفة بوصفها عملًا فنيًا متكاملًا من الناحية الجمالية والوظيفية.

4- حاجة المقررات التعليمية ذات الطابع الفني إلى إعادة صياغة شاملة تدمج بين العمل الفني والحرفي.

التوصيات :

1. تطوير مقررات تعليمية تدمج بين المهارات الفنية والحرفية.
2. تعزيز الجانب الجمالي في الحرف اليدوية داخل المناهج التعليمية المتخصصة.
3. تنظيم ورش عمل ومشاريع تطبيقية تربط النظرية بالممارسة.
4. تدريب المعلمين على دمج الفن بالحرفة كأسلوب تعليمي.

الخاتمة :

تمثل جدلية الجمال والمنفعة محورًا خصبًا لإعادة النظر في مفهوم العمل الفني ومكانة الحرفة في التعليم الفني. ولا يمكن فصل الإبداع عن الوظيفة، ولا الجمال عن المنفعة، في سياق يسعى إلى بناء شخصية متكاملة للمتعلم تقدّر الفن وتتقن العمل.

المراجـــــع :

1- الطاهر أحمد الزاوي-مختار القاموس-مطابع اوفا-ميلانو.
2- مراد وهبة-المعجم الفلسفي-دار قباء الحديثة-القاهرة-2007.
3- عبد الله دخيل عوض-واقع مقررات تاريخ الفن-مجلة العلوم التربوية والنفسية-المجلد2 العدد2-جامعة أم القري.
4- على عبد المعطي-راوية عبد المنعم عباس-الحس الجمالي-دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية-1998.
5- أرسطو طاليس-الشعر-ترجمة: أبي بشر متي بن يونس، مراجعة: شكري محمد عياد-دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة،1967.
6- راوية عبد المنعم عباس-القيم الجمالية-دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية-1987.
7- ماهر كامل-الجمال والفن-دار الطباعة الحديثة.
8- امل محمد حلمي-فلسفة الجمال الطبيعي والجمال الفني مختارات من الفن المعاصر-كلية التربية-جامعة عين شمس-2010.
9- زكريا إبراهيم-مشكلة الفن. ب-ت.
10- محمد عزيز نظمي-الفن والبيئة والمجتمع-ج6-مئسسة شباب الجامعة-الإسكندرية-1996.
11- جيروم ستولينتز-النقد الفني-ترجمة: فؤاد زكريا-المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-1981.

12- شبنجلر اوسوالد-تدهور الحضارة الغربية-ترجمة: احمد الشيباني-ج1-منشورات دار مكتبة الحياة-بيروت.
13- عبد الرحمن بدوي شوبنهاور-ط3-دار اليقظة العربية-1965.
14- راوية عبد المنعم-الأنسان والفن والجمال-اورينتال-الإسكندرية-2010.
15- جورج سانيتانا-الإحساس بالجمال-ترجمة: محمد مصطفي بدوي-المركز القومي للترجمة – القاهرة-مصر-2011.
16- عبد الفتاح رياض-التكوين في الفنون التشكيلية-مكتبة نور البرس-مصر-القاهرة-2000.
17- هدي محمد السيد عبد الفتاح-معجم مصطلحات الحرف والفنون-ط1-بلنسية للنشر والتوزيع-مصر - 2008.
18- الطاهر احمد الزاوي-مختار القاموس-الدار العربية للكتاب-ليبيا-1998.
19- مجموعة من المؤلفين-المعجم الوسيط-مكتبة الشروق الدولية-2004.
20- مجمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع-دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية-1993.
21- محمد حسن-دور الصناعات اليدوية والحرفية في التنمية الاقتصادية والمحلية بجمهورية مصر العربية-مجلة التنمية والسياسات الاقتصادية-مجلد22-العددالاول-المعهد العربي للتخطيط-2020,
22- شارلوت سميث-موسوعة علم الأنسان المفاهيم ومصطلحات الأنثروبولوجيا-ترجمة: مجموعة أساتذة علم الاجتماع-المجلس الأعلى للثقافة-1998.
23- أرنولد ها وزر-الفن والمجتمع عبر التاريخ-ترجمة: فؤاد زكريا-المؤسسة العربية للدراسات – بيروت-1981.
24- كارل ماركس-دور الأدب والفن في الاشتراكية-ترجمة: عبد المنعم الحنفي-مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة-1968.
25- إتيان سوريو-الجمالية عبر العصور-ترجمة: ميشال عاصي-ط2-منشورات عويدات –بيروت-1982.
26- ابن منظور – لسان العرب -دار المعارف – المجلد الخامس- باب الفاء -جزء 39.